مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163 -1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الإدارة بالأزمـــات من منظـــور القـــرآن الكريـــم

بولقصاع محمـد
جامعــة غرداية
Aboumariame0509@Yahoo. Com

ملخّص –

إنَّ الفترة الحرجة التي يمرُّ بها العالم اليوم وبالأخصِّ الإسلاميِّ منه، ليؤرِّق المضجع، ويقطِّع القلب، ويُدمع العين، ويَدَع الحليم حيران؛ نظرا للأزمات المتفشِّية فيه والتي اجتاحته من كلِّ جهة بدءا بالتي تمسُّ الأفراد، مرورا بالأزمات التي تمرُّ بها الجماعات والمؤسَّسات والحكومات وانتهاء بالأزمات الدّولية، سواء ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الأمني...

وإزاء هذا الوضع المرير فإننا نجد أن المتعاملين مع هذه الأزمات هم على صنفين:

. صنف يسعى للحدِّ من انتشارها، والتَّقليل من أخطارها مع تسخير كافة الجهود لأجل الخروج منها بأسرع وقت، وبأقلِّ الخسائر وهو ما يسمَّى **بإدارة الأزمات**.

. وصنف آخر يروِّج لها، ويستثمر فيها، ويغذِّيها كلَّما تلاشت وضعُفت، لأجل قضاء مصالحه وهذا الصنف يسمَّى **بالإدارة بالأزمات**.

وقد جاء هذا البحث ليسلِّط الضَّوء على مفهوم الإدارة بالأزمات مع تقديم نماذج لها من خلال القرآن الكريم، ثم بيان حكمها، وقبل ذلك كلِّه لا بدَّ أن نمهِّد بتعريف لأهمِّ المصطلحات الملتصقة بالموضوع كبيان مفهوم الأزمة، وأسباب نشوئها، وخصائصها، ومفهوم إدارة الأزمات.

الكلمات المفتاحية: إدارة الأزمات. الاجتماعية . الاقتصادية . السياسية

المنارة للاستشارات

Abstract –

The criticalperiodexperienced by the world today, particularly the Islamicthereof, for needling the bed, and cut the heart, and bringstears to the eye, and let HalimHiran; because of the crises rampant and whichinvaded on everysidefrom the one that touches individuals, through the crises experienced by the groups, institutions, governments, and the end of international crises boththoserelating to the social, economic, political or security aspect ...

Facedwiththisgrim situation, wefindthatdealingwiththese crises are twocategories:

Class seeks to limit the spread and reduce the risks to harness all efforts in order to get out as soon as possible, and with minimal losses, a so-calledcrisis management.

And anothervarietypromoted, and invest in, and fueled by the more faded and weakened, in order to eliminateitsinterests and thisbreediscalledcrisis management.

This search came to shed light on the concept of management of crises with the submission of itsmodelsthrough the Koran, and then release its verdict, and, above all, we must pave the definition of the main conjoinedtermssubject as a statement of the concept of crisis, and the reasons for itsinception, and itscharacteristics, and the concept of crisis management.

Key-words: Crisis Management. Social . Economic. Political

مقدمة –

كثير من النَّاس لا يفرِّقون بين "إدارة الأزمات" و "الإدارة بالأزمات" فضلا عن ذلك تنقصهم معارف ومعلومات تتَّصل اتِّصالا مباشرا بهذا العلم؛ ولذا كان من الواجب على الباحث أن يعرِّج أوَّلا على هذه التعريفات ولو بشكل سريع؛ لأنَّها بمثابة مفاتيح لِلْوُلُوج في هذا الموضوع.

. تعريف الأزمة.

الأَزْمةُ في اللُّغة هي: الشِّدة والقحط، وأزَم عن الشَّيء أمسك عنه، و المَأْزِمُ المضِيقُ وكلُّ طريق ضيِّق بين جبلين مأزِم، وموضع الحرب أيضًا مأزم، ومنه سمِّي

المنارة للاستشارات

الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة مأزمين (□)، والأَوازِمُ: "السِّنون الشَّدائِدَ كالبَوازِم. وأَزَمَ عليهم العامُ والدَّهرُ يَأْزِمُ أَزْماً وأَزُوم، والمُتَأَزِّمُ: المُتَأَلِّم لأَزْمَةِ الزَّمان وشِدَّته وأَزَمَتْهم السنة أَزْماً: استأْصَلَتهم، ويقال: أَصابتنا أَزْمَة وآزمة أَي: شدّة" (بر).

وقد ورد هذا المفهوم اللغوي في بعض كتب الحديث فمن ذلك ما جاء في المستدرك على الصحيحين: «أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزمةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ فِي عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ: وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ يَا أَبَا الْفَضْلِ: إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ»(تر).

والقرآن الكريم خِلْوٌ من مفردة الأزمة ومشتقّاتها إلا أنَّه استعمل مرادفاتٍ تصبُّ في معناها اللُّغوي مثل:

– الشِّدَّة: وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: 48] وهي تعني القحط والمجاعة.

– الضُّرُّ: كقوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ

---

1 . ينظر: الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ج1، ص17، مادة: أَزَمَ.

2 . ابن منظور محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ج12، ص ص16 . 17، مادة: أَزَمَ.

3 . الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، كتاب معرفة الصحابة، ج3، ص666، رقم الحديث: 6463.

المنارة للاستشارات

عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: 88]، ومعناه: "أصابنا وأصاب أهلنا معنا الفقر والجَدْب والهزال من شدَّة الجوع "[4].

– المصيبة: كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: 165]، فالله سمَّى الأزمة التي حلَّت بالمؤمنين يوم أحد بالمصيبة، حيث استشهد منهم سبعين ﷺ.

وكالابتلاء، والتَّمحيص، والعُسر، والشِّدَّة، والكَرْب، والظَّمأ، والنَّصب، والمخمصة، والزِّلزال، والسِّنين، والسُّوء، والمحنة... وهي كلُّها مرادفات ونظائر للأزمة تشترك وتُلقي بظلالها على معنى: الشِّدَّة، والضَّيق، والكَرب.

أ – اصطلاحا: يعدُّ مصطلح الأزمة من أكثر وأشهر المصطلحات شيوعًا وتداولا في العصر الحالي، وتعدَّدت تعريفاتها تبعًا لنوع الأزمة ومستواها، فمن تعريفاتها:

– "هي تلك النُّقطة الحرجة واللَّحظة الحاسمة التي يتحدَّد عندها مصير تطوُّر ما، إمَّا إلى الأفضل وإمَّا إلى الأسوأ: الحياة أو الموت، الحرب أو السِّلم، لإيجاد حلٍّ لمشكلة ما أو انفجارها"(سم).

– " أنها خللٌ مفاجئ نتيجة لأوضاع غير مستقرَّة، يترتَّب عليها تطوُّرات غير متوقَّعة نتيجة لعدم القدرة على احتوائها من قبل الأطراف المعنية"[6].

ومما يجدر التَّنبيه إليه أنَّ هناك مصطلح لَصِيق بالأزمة وهو: "الكارثة"؛ لكن يتَّضح الفرق بينهما من خلال تعريف الكارثة وهي: "حدث يسبب دماراً واسعاً ومعاناةً عميقةً، وهو سوء حظ عظيم"[7].

---

4 . طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998م، ج7، ص411.

5 . العماري عباس، إدارة الأزمات في عالم متغير، ط1، مركز الأهرام، القاهرة، 1414هـ، ص25.

6 . عثمان محمد مختار، مبادئ علم الإدارة العامة، بنغازي، جامعة قار، 1991، ص66.

المنارة للاستشارات

أما السيد عليوة، فقد قال بأنَّ الكارثة: "هي أحد أكثر المفاهيم التصاقاً بالأزمات، وقد ينجم عنها أزمة، ولكنَّها لا تكون هي أزمة بحدِّ ذاتها، وتعبِّر الكارثة عن حالة مدمِّرة حدثت فعلاً ونجم عنها ضرر في الماديِّات أو كليهما معاً"[8].

ومن هنا فإنَّ الكوارث أغلبها تكون أسبابًا لوقوع الأزمات ومثال ذلك إذا حدثت كارثة طبيعية مثل: البراكين، أو الزَّلازل، أو الفيضانات فإنَّها تلحق أضرارًا بليغة في الجانب البشري والمادِّي، وتسبِّب في وقوع أزمات بعدها كأزمة المأوى والسَّكن [9].

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كارثة انفجار سدِّ مأرب على مدينة سبأ حيث أوقعت بهم خسائر ماديِّة وبشرية، وتولَّدت بعدها أزمات كثيرة كأزمة التَّمزُّق في البلاد، والهجرة الجماعية، وأزمة السَّكن وغير ذلك يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: 15 – 19].

---

7 . الشعلان فهد أحمد، إدارة الأزمات (الأسس . المراحل . الآليات)، مطابع أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 1999م، ص28.

8 . عليوة السيد، إدارة الأزمات في المستشفيات، دار: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص12.

9 . وقد عايشنا حلول كارثة في ولايتنا (بغرداية) حيث ضرب فيضان كبير سنة 2008م، فخلف أضرارا مادية وبشرية معتبرة وأدى بعدها إلى ظهور أزمات حادة كأزمة الغذاء والسكن وانقطاع الكهرباء والغاز والمياه الصالحة للشرب.

المنارة للاستشارات

ويتّضح الفرق أكثر بإجراء مقارنة بينهما من خلال الجدول الآتي [10]:

وجه المقارنة	الأزمة	الكارثة
المفاجأة	تصاعدية	كاملة
الخسائر	معنوية وقد يصاحبها خسائر بشرية ومادية	خسائر بشرية ومادية كبيرة
أسبابها	بشرية	غالبا طبيعية وأحيانا بشرية
التنبؤ بها	إمكانية التنبؤ	صعوبة التنبؤ
الضغوط على متخذ القرار	ضغوط شديدة وتوتر عال	تفاوت في الضغوط تبعا لنوع الكارثة
المعوقات والدعم	أحيانا وبسرية	غالبة ومعلنة
أنظمة وتعليمات المواجهة	داخلية	محلية وإقليمية ودولية

1) . أسباب الأزمات: الأزمات ليست وليدة ذاتها بل هي نتيجة لمجموعة أسباب أدّت إلى نشوئها، ومعالجتها لا تتمُّ دون معرفة لأسبابها، وإلّا أصبحت عملية لإهدار الوقت، والجهد، والمال فتؤدِّي حينئذ إلى تفاقم الأزمة وامتدادها لفترة أطول؛ لذا فالمعرفة الحقيقية لأسباب نشوء الأزمة تتجلى في اتخاذ قرار فاعل وسريع.

ومعرفة أسباب الأزمات لأجل تفاديها واجب على المؤمن معرفته؛ لأنَّ الأصل في المؤمن أن يحيا حياة طيِّبة، علاوةً على ذلك لا بدَّ له أن يدرك سنن الله في كونه والتي لا تتخلَّف ولا تحيد ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: 43]. وما سنَّة تداول الأزمات إلا كسنَّة تعاقب الليل والنهار، زيادة على ذلك أنَّ المؤمن مطالب بالاستخلاف والتَّمكن في الأرض وهذا لا يتأتَّى إلا بمعرفة أسباب نشوء الأزمات حتَّى يحقِّق هذا الوعد الإلهي.

والمخطَّط الآتي يلخِّص لنا أسباب نشوء الأزمات [11]:

10 . الشعلان فهد أحمد، إدارة الأزمات (الأسس . المراحل . الآليات)، مرجع سابق، ص37.

11 . هذا المخطط قريب مما ذكره الخضيري في كتابه. ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 66.

المنارة للاستشارات

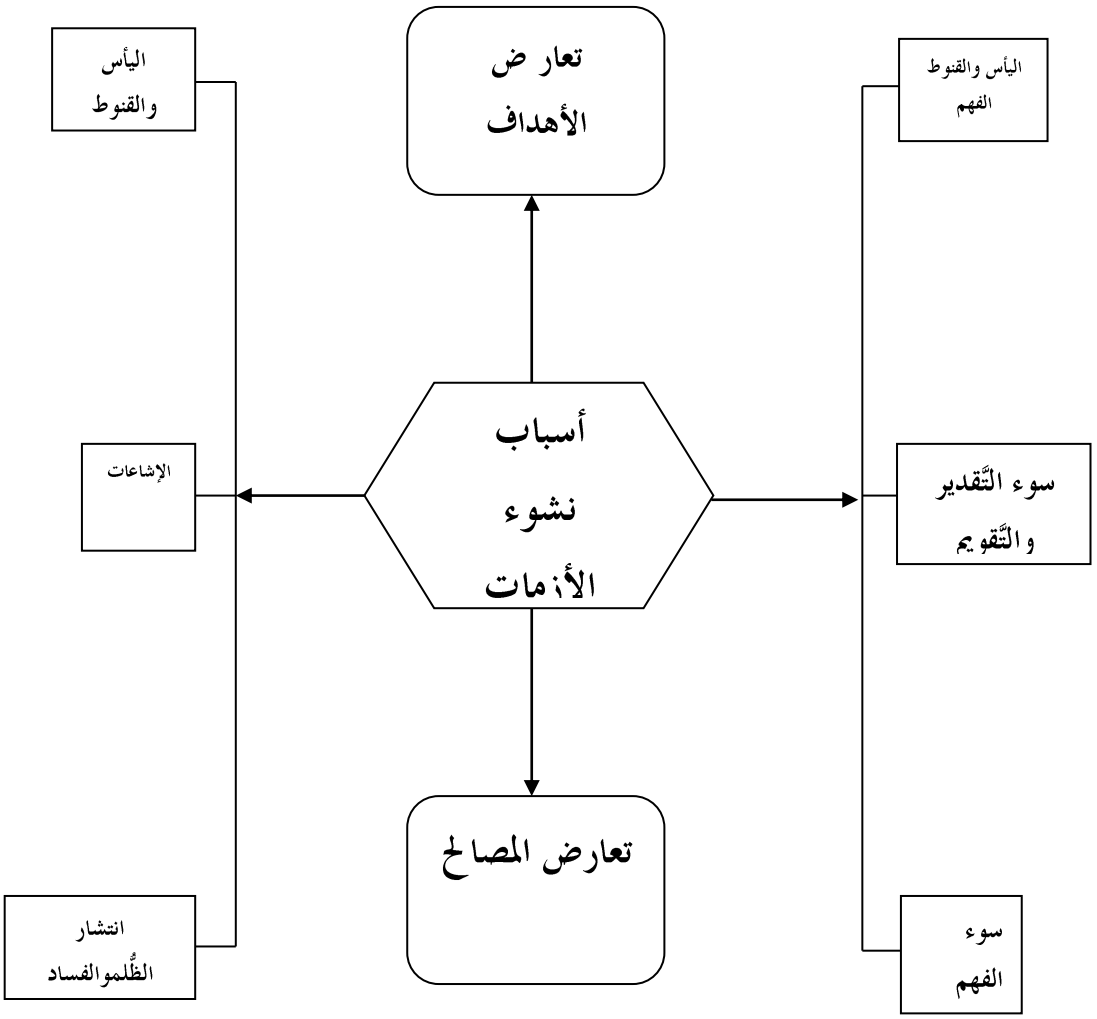

2) . خصائص الأزمات:

رغم اختلاف أنواع الأزمات إلا أنَّ جميعها يشترك في سمات ومميِّزات تُعرف بها وهي كالآتي:

المنارة للاستشارات

❖ يظهر فيها عنصر المفاجأة وهو ناتج عن عدم توقُّع حدوثها من حيث المبدأ، أو إنَّه لم يتم توقُّع حجم الآثار النَّاجمة عنها، فكانت آثارها أكبر بكثير مما تم التَّنبُّؤ به [12].

❖ تظهر فيها أعراض سلوكية مَرضية خطيرة لدى فئة عريضة من المجتمع مثل: القلق، والتَّوتر، والخوف، وفقدان الدَّافع على العمل، وتقطُّع النَّسيج الاجتماعي، وانهيار هيكل القيم والعادات والتَّقاليد، وشيوع اللامبالاة وعدم الانتماء [13].

❖ يسود فيها نقص المعلومات وتداخلها، كما تُنسج فيها الشَّائعات والأباطيل مما يؤدِّي إلى عدم وضوح الرُّؤية بالنِّسبة للإجراءات التي ينبغي اتِّخاذها بشأن الأزمة [14].

❖ تتسبَّب الأزمات غالبا في وقوع خسائر سواء كانت بشرية أو مالية أو معًا، كما تُخلِّف صدمات نفسية عميقة.

❖ الأزمة بطبيعتها معقَّدة، ومتشابكة، ومتداخلة فيما بينها، ومعطياتها غير واضحة المعالم، ومتعدِّدة الطُّرق [15].

3) . مراحل الأزمة:

تتَّحد الأزمات عبر الأزمنة فتبدأ في الظُّهور حتى تتزايد وتنمو ثم تشتدُّ وتقوى، وبعدها تبدأ في الأفول والنِّهاية. يقول الهدمي: "تمرُّ الأزمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية بدورة للحياة، مثلها في ذلك مثل أيِّ كائن حيّ، وهذه الدَّورة تمثِّل أهمِّية قصوى عند قيامنا بمتابعة الأزمة، ومحاولة الإطاحة بها" [16].

---

12 . ينظر: دره محمد، إدارة الأزمات، مجلة الفكر الشرطي، الإمارات العربية المتحدة، مجلد6، 1997م، ص17.

13 . ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص133.

14 . ينظر: الدليمي عبد الرزاق محمد، الإعلام وإدارة الأزمات، ط1، دار المسيرة، عمّان، 2012م، ص: 107.

15 . ينظر: الحريري محمد سرور، إدارة الأزمات السياسية واستراتيجيات القضاء على الأزمات السياسية الدولية، ط1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمّان، 2012م، ص: 81.

16 . الهدمي ماجد سلامة، مبادئ إدارة الأزمات، دار زهران، القاهرة، د.ت. ص41.

المنارة للاستشارات

وفيما يأتي بيان لمراحل جميع الأزمات:

✓ المرحلة الأولى: مرحلة الإنذارات والتَّحذيرات: وهي المرحلة التي تنبئ عن شيء مَّا يلوح في الأفق القريب، وينذر بموقف غير محدّد المعالم، وتسمَّى أيضًا بمرحلة الإنذار من وقوع أزمة، وهي غالبًا ما تكون مرحلة تتبلور فيها مشكلة مَّا، وتتفاقم حتى تتولَّد عنها أزمة؛ لأنَّ الأزمة عادةً لا تنشأ من فراغ وإنَّما يسبقها مشكلة لا تعالج علاجًا مناسبًا [17].

فإذا تفطَّن أصحاب الإدارة والمنظَّمات لهذه المرحلة فإنَّهم سيحدُّون من انتشارها، ويئدونها في مهدها، وإلا فستنتقل إلى المرحلة الموالية.

✓ المرحلة الثانية: مرحلة ميلاد الأزمة: وفيها تبدأ الأزمة في الظهور والانتشار، وعلى المنظمات أن تكون قد وضعت برامج ومخططات لأجل إجهاضها، كما تسعى إلى قطع روافد ومعززات الأزمة حتى لا تستفحل وتنتشر كالنار في الهشيم.

✓ المرحلة الثالثة: مرحلة نمو الأزمة واتساعها: فعندما لا يتمُّ معالجة الأزمة في مرحلة ميلادها، تنتقل إلى مرحلة النُّمو والاتِّساع بشكل متصاعد ومتزايد نتيجة انتشار الإشاعات الكاذبة، والإعلام الهدَّام... وهو ما يعبَّر عنه بالتَّدفُّق المتصاعد.

وفي هذه المرحلة يتعاظم الإحساس بالأزمة، ويزداد ثقلها وكثافتها يوما بعد يوم فضلاً عن دخول أطرافٍ جديدة إلى ساحة الأزمة لتصبح بمثابة روافد مغذِّية للأزمة ومفعّلة لها.

✓ المرحلة الرابعة: مرحلة انفجار الأزمة: وفي هذه المرحلة تبلغ الأزمة ذروتها، وذلك عندما تحدث حالة انفصام وانفصال بين مصلحة العامل، وبين مصلحة الكيان الإداري الذي يعمل فيه [18].

✓ المرحلة الخامسة: مرحلة انحسار الأزمة وانكماشها: وتأتي بعد المواجهة ومعرفة الخسائر وتقييمها، والتكيف مع الوضع وإعادة الأمور إلى طبيعتها [19].

---

17 . ينظر: الصيرفي محمد، إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ص 62. وينظر: قطيش نواف أحمد، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص38.

18 . ينظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع السابق، ص: 79.

المنارة للاستشارات

والشّكل الآتي يلخّص هذه المراحل:

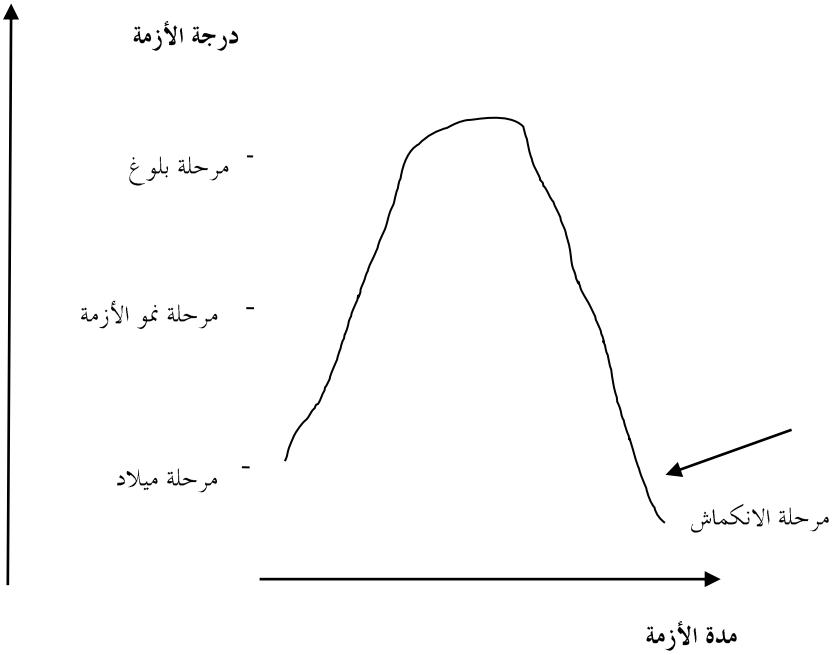

4) . مفهوم إدارة الأزمات:

"إدارة الأزمة هي علم وفنُّ السَّيطرة على الموقف وتوجيهه بما يخدم أهدافًا مشروعةً من خلال أحداث الموقف، وتوجيهه بما يخدم أهداف مشروعة من خلال إدارة الأزمة ذاتها من أجل التَّحكم في ضغطها ومسارها واتجاهها"[20].

وتعمل إدارة الأزمات على تحقيق هدفين أساسين هما:

. الأول: العمل على عدم حدوث الأزمات بإزالة مسبباتها، أو التقليل من حدة آثارها بإعداد التدابير اللازمة، وباستخدام التقنيات الحديثة والاحتياطات المناسبة.

19 . ينظر: سامي محمد هشام، المهارة في إدارة الأزمة وحل المشكلات، رسالة ماجستير بالجامعة الأردنية، 2007، ص22.

20 . الخضيري محسن أحمد، إدارة الأزمات: منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، مكتبة مدبولي القاهرة، 1990، ص 17.

المنارة للاستشارات

. الثاني: رسم خطّة إستراتيجية فعّالة لمواجهة الأزمة عند حدوثها، وتقليل آثارها، والعمل على إعادة التّوازن والنّشاط للمنظّمة بعد انتهاء الأزمة [21].

إذا فالهدف من إدارة الأزمات يكْمُن في السّعي بالإمكانات البشرية المؤهّلة، والماديّة المتوفّرة إلى إدارة الموقف الأزموي مؤدّيًا بنا إلى تحقيق النّتائج الآتية:

- وقف التّدهور والتّقليل من الخسائر، (التّحكّم في الموقف).
- تأمين وحماية العناصر الأُخرى المكوِّنة للكيان الأزموي.
- السّيطرة على حركة الأزمة والقضاء عليها.
- الاستفادة من الموقف النّاتج عن الأزمة في الإصلاح والتّطوير.
- دراسة الأسباب والعوامل التي أدّت للأزمة، لاتّخاذ إجراءات الوقاية لمنع تكرارها، أو حدوث أزمات مشابهة لها مستقبلاً.

ومن نماذج إدارة الأزمات في القرآن الكريم ما يأتي:

* الجانب الإجتماعي: ومثاله إدارة النبي ﷺ لأزمة حادثة الإفك والتي هزّت المجتمع المدني لأزيد من شهر، حيث اتُّهم فيها زوجه عائشة رضوان الله عليها؛ لكنه ﷺ أدار هذه الأزمة بكلّ حنكة ودهاء حيث حافظ على توحيد الصّفّ الدّاخلي؛ وخاصّة لمّا همّ الأوس والخرزج أن يقتتلوا بينهما بسبب تلك الأزمة [22]، كما لم يفتح ﷺ جبهة مع المنافقين رغم أنّهم نالوا من عرضه الشّريف، وهذا درءا منه أن يقول المشركون "محمد يقتل أصحابه".

وقد نزلت بسبب الحادثة آياتٌ عِظام من صدر سورة النور لتضع حدًّا لهذه الأزمة فبرّأت عائشة من فوق سبع سماوات، وأنزلت حدّ الجلد في الذين خاضوا عرضها، كما توعّدت الذين افتعلوا الإفك وجاءوا به بالعذاب العظيم...

* الجانب الاقتصادي: ونمثّلها بإدارة يوسف عليه السلام للأزمة الاقتصادية التي اجتاحت مصر في زمانه لمدة سبع سنين، حيث تمكن يوسف عليه السلام بالتنبؤ بها قبل حلولها بسبع سنين، فوضع خطة عملية محكمة كتكثيف الزراعة، والحفاظ على

21 . ينظر:هيكل محمد أحمد، مهارات إدارة الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م، ص23.

22 . ينظر الحادثة في صحيح البخاري، رقم الحديث: 4750.

المنارة للاستشارات

المنتوج بإبقاء الحب في سنبله، وبناء المخازن لحفظ الغلال، وانتهاج سياسية الترشيد في الاستهلاك، والتحفيز على ادِّخار الأقوات.... وكان بفضل هذه الخطة الحكيمة إنقاذه للشعب المصري وما جاورها من الدول من هلاك محتوم، قال تعالى:

* الجانب السياسي: ونضرب المثل بالإدارة السليمانية عليه السلام للأزمة السياسية الدولية الواقعة بين مملكته من جهة، وبين مملكة ملكة سبأ من جهة أخرى، حيث استطاع سليمان عليه السلام أن يتوصل إلى إقناع ملكة سبأ وإدخالها في الإسلام سلميا من دون اللُّجوء إلى استخدام القوة رغم امتلاك سليمان عليه السلام لها من بابها الواسع، وقد كان سبب دخولها في الإسلام هو ما أحرزه سليمان عليه السلام من تقدُّم في المجال العلمي [23]، والعسكري [24]، والحضاري [25]، وغير ذلك.

* الجانب العسكري: ويمكن أن نمثِّله بأزمة الأحزاب المذكورة تفاصيلها في سورة الأحزاب، حيث خرجت جموع الأحزاب من يهود خيبر، ويهود بني النّضير، وكفّار قريش، وغطفان...لقتال المؤمنين في المدينة، لكن النَّبي ﷺ بفضل جهاز الاستخبارات علم بزحفهم إليه، وخطَّط لحفر الخندق حول المدينة، فتفاجأ الأحزاب بذلك لأنَّها خطَّة لا تعرفها العرب، وممَّا زاد للأزمة حدَّة بلبلة المنافقين لصفوف المؤمنين وإرْجَافِهم في المدينة، ونقض بني قريظة للعهد...إلاَّ أنَّ النبي ﷺ كان قائدًا مُلهمًا ومُلمًّا بأبجديات الحرب، فقد وضع كلمة السِّرِّ، وحجب الشَّائعات عن معسكره، وأباح استعمال الخدعة في الحرب، والتَّجسُّس على أعدائه [26] ....

5) . مفهوم الإدارة بالأزمات:

---

23 . سرعة التنقل والحركة كالإتيان بعرش ملكة سبأ إلى فلسطين لمسافة تقدر بـ3000كلم في غضون أجزاء الثانية، وإسالة عين القطر له يعمل بها ما يشاء من الصناعات الثقيلة والحربية.

24 . جنود سليمان عليه السلام مكونة من الجن والإنس والطير والشياطين التي تبني له ما يشاء وتغوص في أعماق البحار، والخيل الصافنات الجياد.

25 . كتفوقه في مجال بناء الصروح الزجاجية فوق المياه...

26 . وقد بعث النبي ﷺ حذيفة بن اليمان لأجل التجسس على العدو. اينظر تفاصيل الحادثة في المستدرك للحاكم النيسابوري، مصدر سابق، رقم الحديث: 4325.

المنارة للاستشارات

لا بدَّ من وجوب التَّفريق بين إدارة الأزمات والإدارة بالأزمات، فالأولى تعني كما مرَّ معنا سابقا: كيفية التَّغلب على الأزمة بالأدوات العلميَّة الإدارية المختلفة، وتجنُّب سلبياتها والاستفادة من إيجابياتها، بينما الثانية وهي الإدارة بالأزمات أو ما يعرف أيضا بعلم صناعة الأزمات وهي التي تقوم أساسا على افتعال الأزمات، وإيجادها من عَدَم كوسيلة للتغطية والتمويه على المشاكل القائمة التي تواجه الكيان الإداري...

فافتعال الأزمات واختلاقها وصُنعها من العدم أمر يصبح محور حياة صانع الأزمات، ليس فقط لتغطية حالات الفشل لديه، بل كوسيلة رئيسة للسَّيطرة على الآخرين وإخضاعهم لرغباته، وللتَّحكم فيهم، وتوجيههم كما يرغب.

وخير مثال على ذلك ما يعمد إليه بعض التُّجار من أصحاب الموقع الاحتكاري من خلق أزمات في بعض السِّلع من خلال تخزين هذه السِّلع، وعدم عرضها في السُّوق لغرض تعطيش المستهلك لها، وإشاعة أنَّ هناك أزمة شديدة في إنتاج هذه السلع، مما يدفع المستهلكين إلى البحث عنها بأكثر من احتياجاتهم، وهنا يقوم هذا التَّاجر بعرضها سرًّا لتحقيق أرباح طائل[27].

ولعلَّ المثال الذي يصلح للاستشهاد به في هذا الموضع هو ما تستخدمه إسرائيل كثيرا في خلقها للأزمات وافتعالها ضدَّ الفلسطينيين الأبرياء فتعمد أحيانا إلى غلق المعابر، وأحيانا إلى منع إدخال مادة ضرورية إلى قطاع غزة كالسكر، أو الأرز، أو البنزين،...وأحيانا تلجأ إلى الاعتقالات والمداهمات العشوائية، واستفزازهم، وإذا اضطر الأمر فإنها تلجأ إلى تصفيات بعض القادة، وتدمير بيوتهم، واجتياح أراضيهم... وهذا قصد إشغالهم بالوضع الداخلي المعفَّن، والسَّعي للتَّحكم فيهم، ولإيجاد مبرِّر للتَّدخل العنيف ضدَّ الفلسطينيين كشعب، أو ضدَّ قيادتهم كحكومة؛ ليُصبح همُّ الفلسطينيين الوحيد هو: كيف يؤمِّن لقمة عيشه، ويوفِّر الأمن لنفسه؛ والله تعالى يخبرنا عن اليهود في افتعالهم للأزمات قائلا: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾ [المائدة: 64].

27 . انظر: الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص ص: 34. 38.

المنارة للاستشارات

لكن كثيرا ما تنقلب الأمور على اليهود وتنفلت من أيديهم لترجع عليهم وبالاً وخسرانًا كما يُقال: "انقلب السِّحر على السَّاحر"، وفي هذا الصَّدد يقول المولى ﷻ: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: 43]، ويقول أيضا: قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [الروم: 10].

وقد جاء في البروتوكول السابع من كتاب الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ما يلي: "يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة؛ فإنَّ في هذا فائدة مزدوجة: فأمَّا أولاً فبهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كلِّ الأقطار التي تعرف حقَّ المعرفة أنَّ لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد، مع قدرتنا على إعادة النِّظام، وكلُّ البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند إلحاح الضرورة متى لزم الأمر، وأمَّا ثانياً فبالمكائد والدَّسائس، سوف نصطاد بكلِّ أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات، ولم نحبكها بسياستنا فحسب، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضاً"(□ بر).

6) **نموذج للإدارة بالأزمات مع بيان مراحلها من خلال القرآن الكريم:**

يذكر لنا القرآن الكريم في قصصه أنَّ أغلب الطُّغاة، والجبابرة، وأصحاب السُّلطة الفاسدة، قد مارسوا ما يسمَّى بصناعة الأزمات ضدَّ أنبيائهم وأتباعهم، فأذاقوهم ألوانًا من المصائب، وأنزلوا عليهم أنواعًا من العذاب حتى يفتنوهم عن دينهم ويُخضعونهم لأهوائهم ورغباتهم... وفي المقابل يخوِّفون رعيَّتهم من مغبَّة اتِّباع الأنبياء لئلا يَلْحَقَ بهم ما لَحِقَ بأتباع الأنبياء، فبذلك يحفظون مصالحهم، ويحقِّقون مكاسبهم، ويُهابون ويُطاعون جرَّاء ما يقترفون.

ولنا في الأزمات التي أحدثها صناديد قريش ضدَّ الرَّسول ﷺ ومن آمن معه من السَّابقين الأوَّلين أكبر مثال على ذلك، فقد مورس فيهم أزمة التقتيل، والتعذيب، والتجويع، والحصار في شعاب مكة... ، فالمستضعفون من هؤلاء المسلمين بالخصوص كانت تنزل عليهم أقسى العقوبات، فقد ذاق بلال بن رباح

28 . الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 140.

المنارة للاستشارات

ﷺ ألوانا من الأزمات كالجوع، والتعذيب، والمهانة من سيِّده أميَّة بن خلف، ونفس الأمر وقع لعمَّار بن ياسر وآله، وخبَّاب بن الأرت ﷺ من الطَّاغية أبي جهل... ففي نفس الوقت قامت كلُّ قبيلة بتعذيب أبنائها الذين اعتنقوا الإسلام أنواعا من العذاب، ومن لم يكن له قبيلة فأَجْرَت عليهم الأوباش والسادات ألوانا من الاضطهاد، يفزع من ذكرها قلب الحليم.

فقد كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أَنَّبَهُ وأخزاه، وإن كان تاجرا قال: والله لنكسِّدنَّ تجارتك، ولنهلكنَّ مالك، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به (□ بر)، وفي حقِّ هؤلاء المتأزِّمين يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: 214].

النموذج الفرعوني في إدارته لدفَّة الحكم بافتعال الأزمات:

في القرآن الكريم نماذج لصنَّاع الأزمات والمفتعلين لها، ومن أبرز هؤلاء فرعون الطَّاغية الذي جاء ذكره في كثير من الآيات والسُّور؛ إذ نجده متفنِّنا في صناعة الأزمات ومجسِّدا لمراحلها وفقا لما يذكره العلماء المتأخِّرون والمتخصِّصون في هذا الفن.

والقرآن الكريم يشنِّع على فرعون لإدارته أمور البلاد عن طريق التَّرويع، والتَّخويف، والإذلال، والتَّذبيح، والتَّصفية العرقية لبني إسرائيل... يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: 4]. "أي: إن فرعون طغى وبغى وتجبَّر في الأرض، وجعل أهلها شِيَعا

29 . ينظر ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، حققه: مصطفى السقا وآخرون، ط2، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955م، ج1، ص92. وينظر: المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ط1، دار الهلال، بيروت، ص ص: 74. 78.

المنارة للاستشارات

وأتباعا له، وصار يستعمل كلَّ طائفة منهم، فيما يريده من أمور دولته... واختصَّ طائفة منهم بالإذلال والقهر والظُّلم، فصار يذبِّح أبناءهم ويستحيي نساءهم"(30).

وفرعون كان يعمد دائما على تهيئة المسرح الأزموي لافتعال الأزمة، وإيجاد بؤرتها وزرعها في الأوساط الشعبية، وإحاطتها بالمناخ والبيئة التي تكفل نموها وتصاعدها، وكثيرا ما نلاحظ هذا في الحوار الذي جمع بين فرعون وملئه من جهة، وبين موسى وأخيه هارون . عليهما السلام . من جهة أخرى، حيث أنَّ فرعون يريد أن يُوقِع بموسى عليه السلام في أزمة معيَّنة كلَّما سنحت له الفرصة، ولكننا نجد أنَّ موسى عليه السلام كان متفطِّنا لكيد فرعون، فنأخذ على سبيل المثال لا الحصر: عندما سأل فرعون موسى وهارون عن ربهما: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ [طه: 49]، فأجابه موسى عليه السلام قائلا: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: 50]، عندها بُهت فرعون أراد بعدها أن يوسِّع من دائرة الصِّراع، فألقى على موسى عليه السلام سؤالا به تثور ثائرة الشَّعب وهو يتعلَّق بمصير آبائهم وأجدادهم الذين كانوا على ملَّة فرعون، . وهذه شنشنة من لا يجد حجَّة فيعمد إلى التَّشغيب ليختبئ فرعون من ورائها — ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾[طه: 51]، فأجابه موسى عليه السلام قائلا: ﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: 52]، وهذا لعمري جواب في منتهى الذَّكاء؛ لأنَّنا نجزم أنَّ موسى عليه السلام يعرف مصير القرون الأولى التي انحرفت في عبادتها، فعبدت غير الله عزّ وجلّ، فلو أجابه موسى أنّهم في النَّار حينها ستنشب أزمة جديدة بينه وبين هؤلاء الناس، وموسى عليه السلام طبعا هو في غنى عنها ولم يأت لهذا؛ بل أتى ليخرج بني إسرائيل من استعباد فرعون ﴿ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ، وإذا أجاب بأنَّهم على حقٍّ — وهذا مستحيل . فلم جاء يعارض توجُّهاتهم؟!! لكنَّه عليه السلام قد عدل عن ذكر حالهم خيبة لمراد فرعون أن يوقعه في

30 . طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج10، ص375.

المنارة للاستشارات

أزمة، وعدولا عن الاشتغال بغير الغرض الذي جاء لأجله، والحاصل أنَّ موسى عليه السلام تجنَّب التَّصدي للمجادلة والمناقضة، وتحرَّز من الوقوع في الأزمة، فأجاب بجواب عام لا يثير حفيظة أحَدٍ منهم.

يقول ابن عاشور: "إنَّ فرعون أراد التَّشغيب على موسى حين نهضت حجَّته بأن ينقله إلى الحديث عن حال القرون الأولى: هل هم في عذاب؟؟... فإذا قال: إنَّهم في عذاب، ثارت ثائرة أبنائهم فصاروا أعداء لموسى، وإذا قال: هم في سلام، نهضت حجة فرعون لأنَّه متابع لدينهم، ولأنَّ موسى لما أعلمه بربه وكان ذلك مشعرا بالخلق الأول خطر ببال فرعون أن يسأله عن الاعتقاد في مصير النَّاس بعد الفناء، فسأل: ما بال القرون الأولى؟ ما شأنهم وما الخبر عنهم؟ وهو سؤال تعجيز وتشغيب. وقول موسى في جوابه علمها عند ربي في كتاب صالح للاحتمالين"[31].

وفيما يأتي بيان مراحل صناعة الأزمات التي كان يجسِّدها فرعون مع موسى عليه السلام وبني إسرائيل [32]:

❖ المرحلة الأولى: مرحلة الإعداد لميلاد الأزمة.

وأهمُّ الخطوات التَّنفيذية التي طبَّقها في هذه المرحلة هي:

– تزوير الحقائق ونشر الأكاذيب: وذلك بسعي فرعون إلى تشويه سمعة موسى عليه السلام ودعوته، وإطلاق الشائعات عليه، واختلاق الأكاذيب، لتصويره في أنفس النَّاس على أنَّه فاقد للأهلية والرَّشاد: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ۝٣٩ ﴾ [الذاريات: 38 – 39]، وفي المقابل يسعى فرعون إلى تحسين سمعته وتبييضها في أوجه الناس ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩ ﴾ [غافر: 29]. كما كان يقلب الحقائق وينشر الأغاليط ويُقنع بها شعبه

31 . ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج16، ص234.

32 . هذه المراحل النظرية العلمية لكيفية صناعة الأزمات مأخوذة من كتاب"إدارة الأزمات للخضري. اينظر: الخضيري محسن أحمد، إدارة الأزمات، مصدر سابق، ص ص: 46 . 54].

المنارة للاستشارات

استخفافا منه بعقولهم ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ﴾ [الزخرف: 54]، فمن ذلك زعمه بأن موسى عليه السلام قد جاء لتهديد أمن واستقرار البلاد والعباد: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ ﴾ [غافر: 26]، وأنّه عليه السلام يهدف إلى إخراج أهل مصر من ديارهم وأرضهم ﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ ﴾ [طه: 57].

– توظيف الإعلام المضاد وذلك من خلال حشد فرعون للمؤيِّدين له ضدَّ دعوة موسى عليه السلام: ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ ﴾[الشعراء: 53 – 56].

– استخدام أجهزة الدَّولة لدعم أفكاره وتوجُّهاته: كان فرعون يفعِّل ويسخِّر مكاسب دولته لتحقيق رغباته وتنفيذ خُططه كاستخدامه لهامان وملئه وجنوده حيث صاروا أداة فعَّالة في يده، ينفِّذون أوامره ويتكلَّمون بلسانه: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠ ﴾ [الأعراف: 109 – 110]، وقال أيضا:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧ ﴾[الأعراف: 127].

❖ المرحلة الثانية: مرحلة إنماء وتصعيد الأزمة.

ويطلق عليها البعض مرحلة التَّعبئة الفاعلة والمكثَّفة للضَّغط الأزموي، وقد حشد فرعون كلَّ قواه المعادية لاستهداف موسى عليه السلام ودعوته، وأراد إيقاعه في فخ يشهده الجميع، واستعمل فرعون تكتيك التَّصعيد الأفقي للأزمة، حيث قام . كما مرَّ معنا . بكسب المزيد من الحلفاء والمؤيدين لقوى صنع الأزمة، وانضمامهم له في عملية زيادة الضَّغط الأزموي على موسى عليه السلام، ولم يقتصر

المنارة للاستشارات

فرعون على مواجهته لوحده؛ بل وسَّع من نطاق المواجهة لتشمل المدن المجاورة حيث سيقوم بمواجهته أهل الخبرة والاختصاص، فبذلك تجعل من موسى ـ في نظر فرعون ـ أن يواجه أزمة معقدة وصعبة أمام الملأ وفي وضح النَّهار حتى تقوَّض دعائمه وتهدَّم أركانه، يقول تعالى في شأن فرعون: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشعراء: 34 – 40].

❖ المرحلة الثالثة: مرحلة المواجهة العنيفة والحادَّة.

وهي تلك المرحلة التَّصادمية بين الكيان المُنشئ للأزمة وهو فرعون وملؤه، وبين الكيان المطلوب صناعة الأزمة فيه وهو موسى عليه السلام ومن آمن معه من بني إسرائيل، وقد تمَّ إعداد هذه المرحلة إعدادا جيِّدا وذلك من خلال ما يأتي:

– اختيار يوم معلوم، ووقت محسوم: واليوم المعلوم: هو يوم الزِّينة وقد كان عيدا لهم يتزيَّنون فيه ويجتمعون، ووقت الحسم: هو الضُّحى وهو وقت ارتفاع شمس النَّهار (تر تر)، قال تعالى: ﴿ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [طه: 58 – 59].

33 . ينظر: الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ، ج16، ص230.

المنارة للاستشارات

– استدعاء سَحَرة مَهَرة متمكّنون في السِّحر: ﴿ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ۝٣٧ ﴾[الشعراء: 36 ــ 37]، أي: "يأتوك بكلّ سحَّار فائق في سحره، عليم بفنونه ومداخله"[34].

– فتح دعوة عامَّة لجميع النَّاس ليحضروا مشهد المبارزة بين السَّحرة وموسى عليه السلام: ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤٠ ﴾ [الشعراء: 39 – 40].

المجيء إلى ميدان الحسم صفوفًا؛ لأنَّهم إذا كانوا الواحد حذو الآخر وكان الصَّفُّ منهم تِلْو الآخر كانوا أبْهَر منظرًا، وأَهْيب في صدور الرَّائين [35]﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ۝٦٤ ﴾ [طه: 64].

– رفع معنويات السَّحرة، وتقديم الدَّعم المادِّي والمعنوي لهم: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٢ ﴾ [الشعراء: 41 – 42] أي: فلمَّا جاء السَّحرة ابتدءوا بطلب الجزاء، وهو إمَّا المال، وإمَّا الجاه. فبذل لهم ذلك بقوله: "نعم"، وأكَّده بقوله: "وإنَّكم إذا لمن المقربين"؛ لأنَّ نهاية مطلوبهم منه البذل ورفع المنزلة فبذل كِلا الأمرين [36].

فميدان المواجهة في نظر فرعون محكم ومسيطر عليه من كلِّ الجهات وأنَّ الأمر سيكون محسوما في صالحه لا محالة، وأنَّ المشهد كافٍ لزعزعة الثِّقة بموسى عليه السلام [37] لإجباره على الانصياع، وللاستجابة الكاملة لما يُملى عليه.

34 . طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص245.

35 . ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص73.

36 . ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1421هـ، ج24، ص502.

37 . حقيقة أنَّ موسى عليه السلام فزع من ذلك المشهد العظيم لكونه بشر من هذه الناحية، إلا أن الله عزّ وجلّ ثبّته وأيّده بالمعجزة الباهرة: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ

المنارة للاستشارات

ظهور عنصر المفاجأة في ميدان المواجهة.

"إن تحقيق الصِّدام يحتاج إلى المفاجأة حتى يتحوَّل الصِّدام إلى صدمة، ويشترط لنجاح التَّصادم حدوث حادث معين، يطلق عليه حادث (×) الذي يكون بداية الشَّرارة وانطلاق اللَّهيب"[38]، وقد كان هذا الحادث متمثِّلا في المعجزة الرَّبَّانية الخارقة التي أجراها الله ﷻ على يد موسى عليه السلام.

ويصوِّر لنا القرآن الكريم لَقْطة الصِّدام الحقيقي قائلا: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الشعراء: 43 – 48]، ولنا أن نتصور ونتخيَّل موقف فرعون وملئه وجنوده وبطانته... من هذه المفاجأة التي فاجأتهم وفاجعتهم لَمَّا رأوُا العصا تنقلب إلى ثعبان، وهي في نفس الوقت تلَّقف كلّ ما ألقاه سحرته من حبال وعصي...ثم ثم يفاجأ مرة أخرى بإيمان سحرته!!!

يقول سيد قطب: "ووقعت المفاجأة المُذهلة التي لم يكن يتوقَّعها كبار السَّحرة؛ فلقد بذلوا غاية الجهد في فنِّهم الذي عاشوا به، وأتقنوه، وجاءوا بأقصى ما يملك السَّحرة أن يصنعوه، وهم جمع كثير محشود من كلِّ مكان، وموسى وحده، وليس معه إلاَّ عصاه، ثمَّ إذا هي تلقَّف ما يأفكون، واللَّقْف أسرع حركة للأكل، وعهدهم بالسِّحر أن يكون تخييلا، ولكن هذه العصا تلقَّف حبالهم وعصيَّهم حقًّا، فلا تُبقي لها أثرا، ولو كان ما جاء به موسى سِحرا، لبقيت حبالهم وعصيُّهم بعد أن خيِّل لهم وللنَّاس أنَّ حيَّة موسى ابتلعتها؛ ولكنَّهم ينظرون فلا يجدونها فعلا! عندئذ لا يملكون أنفسهم من الإذعان للحقِّ

﴿٦٩﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه: 67 – 69].

38. الخضيري، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص52.

المنارة للاستشارات

الواضح الذي لا يقبل جدلا، وهم أعرف النَّاس بأنَّه الحق: «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ»"[39].

❖ المرحلة الرابعة: مرحلة السَّيطرة على الخصم.

كثيرا هم الذين يصنعون الأزمات ويفتعلونها بقصد النَّيل من الطَّرف الآخر أو لكسب شرعية، أو للتَّستُّر على عيوبهم، أو لقضاء مصالحهم، أو لفرض هيمنتهم...؛ لكن سرعان ما تنقلب الأمور عليهم وبالًا وخسرانًا كما ينقلب السِّحر على السَّاحر، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: 43].

فموسى عليه السلام أصبح سيِّد الموقف ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ [طه: 68]، وصاحب الحجَّة القاطعة، حيث حُسم ميدان المواجهة الأزموية لصالحه بمعجزة من الله ﷻ؛ فانقلب السَّحرة المأجورون، سجَّدًا لله ربِّ العالمين، على مَرْأى ومَسْمع من الجماهير الحاشدة ومن فرعون وملئه، لا يفكِّرون فيما يَعقُب جهرهم بالإيمان بربِّ موسى وهارون في وجه الطَّاغية من عواقب ونتائج، ولا يَعْنيهم ماذا يفعل أو ماذا يقول.

بخلاف ما كان يتمنَّى فرعون ويظنُّ...؛ إذ فَقَدَ توازنه واتِّزانه، وأظْهر عجزه وقصوره الكامل أمام المعجزة، وشلَّت إرادته وقوته فلم يستطع مجابهة موسى عليه السلام، ودمَّر ذاته وجلدها نتيجةً للخسارة التي مُنِيَ بها، وخاصَّة وأنَّها كانت على مرأى من النَّاس، فوقع في الهزيمة والخسران بعد أن كُشِف أمره وظهر كذبه، وآمن سحرته بالإله الحقِّ ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأعراف: 118 – 119].

❖ المرحلة الخامسة: مرحلة تهدئة الأوضاع.

الأصل أنَّ ميدان المعركة هو الفاصل، والمحكُّ، والمِعْيار، والحاكم، والمُحَصْحِص، والميزان. .. الذي يُظهر صاحب الحقِّ والقوَّة على الخصم الباطل الضَّعيف، فيُذعن الضَّعيف للقويِّ، ويَسْتَسلم صاحب الحجَّة الضَّعيفة لصاحب

39. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ، ج5، ص 2595.

المنارة للاستشارات

الحجَّة القويَّة، ويَرْجع أهل الباطل إلى أهل الحقِّ... فحينها يتمُّ التَّخفيف من حدَّة التَّوتر القائم بين الطرفين، وينخفض الضَّغط الأزموي إلى أقلِّ مستوياته، فتعود الأمور إلى حالتها الطَّبيعية، والمياه إلى مجاريها، كما حدث هذا فعلاً مع أزمة الملكة سبأ حينما رأت الحقَّ مع سليمان عليه السلام فأسْلَمت وأذعنت للحقِّ، ونفس الأمر مع أزمة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام في قضية التُّهمة فعندما حصحص الحقُّ وظهرت براءة يوسف اعترفت وجنحت للحقِّ.

أمَّا هنا فلاحظنا العكس من ذلك تمامًا حيث أنَّ فرعون لما هُزم وضاعت هيبته لجأ إلى ممارسة القمع والإرهاب والتَّصعيد بكلِّ أشكاله، وذلك بافتعال أزمات أخرى منها:

أ- توبيخه للسَّحرة وعتابه لهم بسبب تجرُّئهم على الإيمان بربِّ موسى دون أخذ موافقة منه ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾[طه: 71]، "هذه أوَّل تُهمة تدين السَّحرة عند فرعون.. إنَّهم آمنوا بموسى قبل أن يأخذوا إذن فرعون وإجازته!! حتَّى لكأنّ الإيمان بالله، عمل من أعمال السِّيادة التي في يد الحاكم، لا يمارسه الإنسان إلا بإذن من السُّلطان، فهو أشبه بأملاك الدولة، التي تحتاج إلى إذن خاص لتملكها والانتفاع بها..!!"[40].

ب - إلصاق التُّهمة بالسَّحرة الذين آمنوا بربِّ موسى على أنَّهم كانوا متواطئين مسبقًا مع موسى، وقصدوا بتواطُئهم هذا إخلاء المدينة من أهلها:

ت - ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[الأعراف: 123]، "وقد قصد الطَّاغية بهذا الأُسلوب: أَن يُلقي في أَسماع عامَّة القبط بشبهتين:

الأُولى: أَن إِيمان السَّحرة كان بناءً على اتِّفاق سابق وتواطُؤ موسى.

40 . الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج6، ص ص: 806. 807.

المنارة للاستشارات

الثانية: أَن ذلك كان لإخراج أَهل مصر من ديارهم، وقصده تثبيت أَهل مصر على ما هُمْ عليه من عبادته والخضوع له وإذكاء نار عداوتهم لموسى وحقدهم عليه إذ ليس أَشقُّ على النُّفوس من مفارقة الأَديان، وترك الأَوطان"[41].

ث- اتِّهام موسى عليه السلام بمعلِّم السِّحر، وأمَّا السَّحرة بالتَّواطؤ معه ضدَّ فرعون ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ ﴾[الشعراء: 49] "وغرضه من هذا القول صرف النَّاس عن التَّأسِّي بهم، وعن الإيمان بالحقِّ الذي آمن به السَّحرة والظُّهور أمام قومه بمظهر الثَّبات، والتَّماسك بعد أن استبدَّ به وبهم الخوف والهلع، من هول ما رأوه"[42].

ج - توعَّد السَّحرة المؤمنين بقطع أيديهم وأرجُلهم من خلاف [43]، وصَلبهم في جُذوع النَّخل: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ ﴾ [طه: 71]، يقول الرازي: "اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الإيمان، وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم في ذلك"[44].

وفي مقابل هذا التَّصعيد للأزمة، وحشد القوَّة ضدَّ من آمن مع موسى عليه السلام؛ لأنَّهم آمنوا بربِّهم عن برهان وبيِّنة، وفارقوا دين فرعون وقومه عن حجَّة واقتناع، فلا شيء يستطيع أن يردَّهم عن سلوك طريقهم القويم، ولا شيء يقنعهم بالاستمرار في عبادة الطَّاغية المتألِّه، فردُّوا على فرعون ردًّا مزلزلًا بقولهم: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ

41 . مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1993م، ج3، ص1490.

42 . طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج9، ص127.

43 . منْ خِلافٍ يعني: اليد اليمنى والرجل اليسرى] ابن أبي زَمَنِين محمد بن عبد الله(ت: 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، ط1، حققه: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر، 2002م، ج2، ص26[.

44 . الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج22، ص72.

المنارة للاستشارات

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾[طه: 72 – 73]، يقول السَّعدي: "أي لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتَّقريب على ما أرانا الله من الآيات البيِّنات الدَّالَّات على أنَّ الله هو الرَّبُّ المعبود وحده المعظَّم المبجَّل وحده، وأنَّ ما سواه باطل، ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا هذا لا يكون. {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} ممَّا أوعدتنا به من القطع والصَّلب والعذاب،{إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، أي: إنَّما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ينقضي ويزول ولا يضرُّنا بخلاف عذاب الله لمن استمرَّ على كفره فإنَّه دائم عظيم"[45].

والظَّاهر أنَّ فرعون لم يستطع تنفيذ ما توعَّدهم به؛ لأنَّ الله قد عصمهم منه لأجل إيمانهم الرَّاسخ بالله ﷻ والدَّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[القصص: 35].

❖ المرحلة السادسة: مرحلة سلب وابتزاز الطرف الآخر.

هذه المرحلة هي مرحلة جني الفوائد، والحصول على العائد والمردود الكبير من صنع الأزمة، فيا تُرى ما الذي جناه فرعون من هذا كلِّه؟ وهل حقَّق عوائد من خلال إدارته لأمور البلاد بالأزمات؟ وهل هو مثلٌ يُقتدى به في هذا؟ وما مصير الضَّالعون معه في مخطَّطات صناعة الأزمات؟

فالذي جناه فرعون ومن معه من الأطراف المشاركة والمؤيِّدة له من هامان وجنودهما من إدارة أمور البلاد بافتعال الأزمات، نلخِّصها فيما يأتي:

1 - وصف القرآن الكريم سياستهم وإدارتهم بالحمق والطَّيش وارتكاب الأخطاء: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾[القصص: 8]، "أي: كانوا خاطئين في كلِّ شيء، ولم يصادفوا الصَّواب في

[45] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ج1، ص508.

المنارة للاستشارات

أيِّ شيء، فلا غرابة إذا أخطأوا في تربية موسى الذي اصطفاه الله لرسالته، ليكون مصيرهم المفجع على يده وبقيادته"(46).

2- حَكَمَ القرآن الكريم على رأي فرعون، وسياسته للأمور بالغيِّ والضَّلال: ﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ ﴾[هود: 97]، وأخبرنا عن مآل كيده بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧ ﴾[غافر: 37]. والآيتان بيان للحال الذي انتهى إليه أمر فرعون، وأنَّه مضى في طريق الضَّلال إلى غايته القصوى. .. فقد زُيِّن له بضلاله، واستكباره سوء عمله هذا، فرآه حسنا، فمضى فيه، وصدَّ عن سبيل الله، وما شأنه وتصرفاته تنم عن رشد واهتداء، بل هي محض الغيِّ والضَّلال، والظُّلم والفساد، وما كيده الذي يكيده بالمؤمنين إلا في فساد وضياع وخسران.

3- نصّ القرآن الكريم بأنَّ فرعون من الطَّواغيت في أكثر من مرة [47]:

4- ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ ﴾ [طه: 43]، وبأنَّه من المستكبرين: ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ ﴾[القصص: 39]، وقد وصل به طغيانه واستكباره أن ادَّعى الألوهية: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾[القصص: 38]، كما ادَّعى الرُّبوبية: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾[النازعات: 24].

---

46 . الناصري محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م، ج4، ص485.

47 . وُصف بالطغيان في سورة طه في الآية: 24 والآية:43، وفي سورة النازعات الآية: 17.

المنارة للاستشارات

5- انتقم الله منه ومن جنوده فأخذهم أخذ عزيز مُقْتدر، فلم ينفعه مُلكه ولا سُلطانه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾ [الأعراف: 136].

6- لعنهم الله في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾[القصص: 42]. يقول السعدي: "وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخِزيهم، في الدُّنيا لعنة يُلعنون، ولهم عند الخلق الثَّناء القبيح والمقت والذَّمُّ، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمَّة الملعونين في الدنيا ومقدِّمتهم، {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} المُبْعَدين، المستقذرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم"(48).

7- إبقاءُ بَدَنه عبرة لمن يعتبر: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾[يونس: 92]، "أي: فاليوم نجعلك على نجوة من الأرض ببدنك ينظر إليك من كذّب بهلاكك، لتكون عبرة لمن بعدك من النَّاس يعتبرون بك فينزجرون عن معصية الله والكفر به، والسَّعي في الأرض بالفساد"(49).

8- توعَّدهم الله بشدَّة العذاب يوم القيامة ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[غافر: 46]. "أي: فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى تلك النَّار التي كانوا يغدون عليها ويروحون... وليست النَّار فحسب، بل الدرك الأسفل منها، حيث يلقون أشدَّ وأنكى ما يلقى أهل النَّار من عذاب..."(50).

48 . السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج1، ص616.

49 . المراغي، تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م، ج11، ص151.

50 . الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج12، ص1241.

المنارة للاستشارات

7) حكم الإدارة بالأزمات:

قلنا فيما سبق أنَّ صناع الأزمات الذي ذُكروا في القرآن الكريم يوصفون بأنواع من الظلم والاستبداد والكفر والنِّفاق. ... ويفتعلون هذه الأزمات قصد الاستعلاء، ورعاية مصالحهم وإشباع غرائزهم؛ ولو كان ذلك على حساب غيرهم من تقتيل، وترويع، وتخريب...كما أنَّ افتعال الأزمات يتطلَّب من صانعها الكذب، والخيانة، وإشاعة الأخبار الباطلة، والتَّعدي على الحُرمات، والمكر، والخداع... فكلُّ هذا وغيره يجعلنا نحكم على الإدارة بالأزمات عموما بالتَّحريم، وبتجريم صانعها؛ وبالأخصِّ إذا دُبِّرت وأُحيكت للعداوة للدِّين وأهله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ ﴾[البروج: 8 ــ 10].

ومن هنا فإنَّه لا يجوز بحال أن نضيِّق على النَّاس بتدبير الأزمات والشَّدائد لهم وإن كانوا كفَّارا ومشركين، ما داموا أنَّهم أعطَوْا لنا الأمان في ديننا؛ لأنَّ القرآن الكريم يأمرنا بالتعامل بالحسنى مع جميع النَّاس، وإعطاء الأمان المطلق لهم كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾[الممتحنة: 8]، وقال أيضا: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ [التوبة: 6]. وقال أيضا: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ ﴾ [التوبة: 7].

الخاتمة:

نخلص في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

أولا: يُعدُّ القرآن الكريم منهل خصب لجميع العلوم والمعارف فهو ليس كما يُظنُّ أنَّه مقتصِر على أمور الشَّريعة فحسب؛ بل يَشْملها ويشمل غيرها من

المنارة للاستشارات

العلوم، وما علم إدارة الأزمات إلا عربونٌ لذلك حيث أورده القرآن الكريم وأصَّله من الجانب النَّظري كبيان مفهوم الأزمة، وأسبابها، وخصائصها، ومراحلها، كما لم يغفل عن الجانب التطبيقي بتقديمه نماذج عمليَّة ممن أداروا أزمات وحقَّقوا فيها نجاحات باهرة... فهو بحقٍّ معجزة خالدة حيث أعجز أهل هذا العصر بما اشتهروا به من علمٍ في إدارة الأزمات ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: 89].

ثانيا: ميَّز القرآن الكريم بين إدارتين: إدارة الأزمات، والإدارة بالأزمات، فأشاد بالأولى ونوَّه بها، وبيَّن أنَّها منهج الأنبياء وعباد الله الصالحين، بينما الثانية شنَّع عليها وتوعَّد عليها، وبيَّن أنَّها منهج الطَّواغيت والجبابرة.

ثالثا: أوضح القرآن الكريم أنَّ الواجب على المنظَّمات والحكومات أن تدير شؤون البلاد بما يسمَّى بإدارة الأزمات والقائم على أسس علميَّة وعمليَّة مدروسة، ومحذِّرا إيَّاها بانتهاج أسلوب الإدارة بالأزمات المبنيِّ على الظلم والاعتداء؛ لأنَّه سيعود عليها حتمًا بالوبال والخسران.

المنارة للاستشارات